العراقيل و المعوقات التي واجهت و تواجه عملية التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الافريقي :

الطالبة سلامي هجيرة

رقم الهاتف : 0673020592

البريد الالكتروني : hadjirasellami@gmail.com

مقدمة :

تعتبر القارة الافريقية من أفضل قارات العالم و ذلك لامتلاكها إمكانيات و طاقات بشرية و اقتصادية و هذا ساعد و سهل عملية التواصل بين بلدان هذه القارة في جميع مجالات الحياة ، و لهذا ارتبطت الجزائر بروابط قوية بمحيطها القاري في المجال الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي ، الثقافي و الحضاري و هذا رغم الاختلاف في الجنس و اللون و اللغة و الدين و العادات و التقاليد و خاصة مع بلدان الساحل الافريقي مثل هذه العلاقة العلماء و الدعاة و التجار و المتصوفة الذين كانوا يمرون عبر الطرق التجارية فضربت هذه العلاقات بجذورها في عمق التاريخ ، مثلت مظاهر الدعم و التآزر و التآخي بين هذه الشعوب ، و هذا راجع للتنوع الثقافي لكل دولة و خاصة الجزائر فخلال القرن 16م كانت متنوعة الثقافات مع دخول العثمانيين و الأندلسيين هذا التنوع كثف الثراء الحضاري و أدى لازدهار النشاط التجاري و اتسعت المدن و كانت المنتوجات المتبادلة تستجيب للمتطلبات المحلية و للمناطق المجاورة و حتى بعضها كان يصدر للخارج ،الا أن هذا التواصل لم يستمر طويلا فهذه الدول كانت مستهدفة من قبل الدول الأوربية التي سعت لقطع هذه العلاقات و طمس هوية هذه الشعوب من أجل سلب خيراتها المادية و البشرية تحت ذريعة الكشوفات الجغرافية و نشر الحضارة في البلدان الافريقية المتأخرة ، كما عملت على تغذية الصراعات العرقية و التفرقة الاجتماعية خاصة و أن هذه المناطق كانت تقطنها قآت متناحرة سهلت من عملية التكالب الاستعماري ، و بهذا تدهورت العلاقات بين الجزائر و بلدان الساحل الافريقي و أصبحت كل دولة مهتمة بشأنها الداخلي و مواجهة الاستعمار و بهذا قطعت روابط التواصل و غلقت الطرق التجارية التي كانت هي أساس العلاقات

لأن الدول الأوربية القادمة بدأت ترسم الحدود على كل دولة تستولي عليها و استعبدت الشعوب معتمدة في ذلك على الحملات التبشيرية المسيحية و الشركات التجارية .

و من هنا نستعرض أهم العراقيل و المعوقات التي واجهت و تواجه عملية التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الافريقي .

الأوضاع العامة للجزائر و بلدان الساحل الافريقي :

ارتبطت الجزائر بروابط قوية مع بلدان الساحل الافريقي فقد مثل هذه العلاقة التجار و العلماء و رجال الدين و المتصوفة و هذا بفضل الطرق التجارية التي كانت منتشرة في تلك الفترة ، بحيث نشأت في افريقيا ممالك و دول عرفت تطور في جميع المجالات هذا زاد من توطيد العلاقات ، خاصة و أن هذه الأماكن كانت تحتوي على أنهار و مسطحات مائية كبرى مثل البحر الأبيض المتوسط الذي كان أساس التجارة الجزائرية خاصة و أن الدولة المرابطية كانت تمتلك أسطول ضخم و نهر السنغال و النيجر ،وغانا التي عرفت بوفرة الذهب الذي تتاجر به مع أهل الشمال فعاش سكانها تقدما حضاريا و كانوا ينعمون بالأمن و الطمأنينة ، و مالي التي عرفت بتجارة الكتب و تمتعت بالأمان و التجارة و الصناعة ، إضافة الى الطرق المؤمنة داخليا و خارجيا هذا أيضا يدل على تقدمها الحضاري و الفكري ، إضافة الى ممالك أخرى كمملكة صنغاي التي اهتم شعبها بالأدب و العلوم و التدوين و تعلم اللغة العربية 1 .

حيث كان هؤلاء الزنوج الزارعين أكثر ثقافة و تحضر أدى هذا الى تطور حضاري سمي في الغالب بالثورة الحضارية ، بحيث تمكنوا من توفير غذائهم و طوروا أسلحتهم و صناعاتهم 2 ، أما خارجيا فكانت الدول الأوربية تعتمد في الحصول على مستلزماتها من منتجات افريقيا السوداء لأن هذه الأخيرة كانت تتخللها شرايين هي طرق القوافل التي تنتقل عبرها التجارة و تسمح لها بنقل السلع و المواد الأولية ، بحيث أن هذه الموانئ وفرت ثراءا كبيرا و نمت مراكز حضارية في هذه البلدان ، كما تم تشييد الكثير من المباني الخاصة و العامة و منها القصور و المساجد و المنشآت العامة 3

العراقيل و المعوقات التي واجهت و تواجه عملية التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الافريقي :

1: التحرشات الاسبانية على السواحل الافريقية :

بالنسبة للجزائر فقد كانت تعاني من التحرشات الاسبانية خاصة في تلمسان ووهران و المرسى الكبير خلال القرن 16م و تهديداتهم بالوصول للداخل مستندين في ذلك على بعض القيادات المحلية التي كانت تدعمهم لدخول الجزائر و احتلالها لأن الزيانيين كانوا ضعفاء فعملت اسبانيا على تقديم يد العون لهم ، الا أن العثمانيين تدخلوا في الوقت المناسب و أنقذوا الجزائر من ويلات الهجوم الاسباني الصليبي الذي كان يستهدف الدين و العرض و الثروة و الإسلام ، و بمجيء اسبانيا بدأ التكالب الاستعماري على القارة الافريقية و بهذا لم يكن في وسع الدولة العثمانية أن تقاتل في كل الجبهات فتركت افريقيا تواجه مصيرها باستثناء شمالها 4

2: الزحف المغربي على السودان الغربي :

قامت قوات سلاطين المغرب الأقصى في عهد الأسرة السعدية بالزحف على إقليم السودان الغربي مرتين : الأولى : في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي 1590م استخدم في الحملة عدد من المحاربين السود ، كانت عملية توسعه صوب الجنوب عبر الصحراء و الى السودان مرتبطة بعدم تمكنه من التوسع شرقا نظرا لوجود السلطة الجزائرية و التي كانت تحت راية السلطة العثمانية ، إضافة الى الاحتلال الاسباني و البرتغالي لبقية الموانيء المغربية لهذا اتجه صوب السودان للاستيلاء على ثرواتها و البحث عن الذهب و التبر وريش النعام إضافة الى اهتمام المغرب بالعبيد و الرغبة في نشر الدين الإسلامي و بالتالي فان حملات أحمد المنصور في السودان الغربي قد نشر من خلالها المذهب المالكي حتى النيجر و سيطر على واحات توات و دخلوا في صراع مع سلطنة صنغاي التي أدخلوها تحت رايتهم في 1595م هذا أدى لظهور ممالك و سلطنات كثيرة و متعددة و متنافرة زادها سوء الفوضى بعد نهاية حكم المنصور.5

أما الحملة الثانية فهي حملة المولى إسماعيل : بحيث عرف السودان بغناه و ازدهاره و عرفت أجزاء منه باسم غانا و أجزاء أخرى باسم غينيا بحيث كانت أقرب صورة في ذهن المولى إسماعيل عن السودان تعود للمولى

أحمد المنصور الذي عرف بالذهبي نسبة للذهب و الى السودان ، بحيث كان السودان يمثل موردا من الجنود السود للمغرب ففكر المولى إسماعيل في السيطرة عليه ، في هذا الوقت أخذ سلاطين السودان يعطون لأنفسهم ألقابا و امتنعوا عن دفع الضرائب التي كانوا يدفعونها للمغرب و هي مثقال من الذهب عن كل حمل يخرج من ملح تغزة و الذي كان المغاربة يصدرونه الى السودان و لهذا فكر المولى إسماعيل في غزو السودان ، فأعد قواته و عهد بها الى ابن أخبه المولى أحمد بن محرز و انتهز فرصة خروج ملك السودان على رأس قواته لمحاربة السنغال و اتصل برؤساء القبائل العربية الموجودة في منطقة شنقيط و استمالهم لجانبه و كان يهدف للوصول الى مناجم تغزة ليتخذها قاعدة للهجوم ، بعدها صمم المولى أحمد للوصول الى تمبكتو ووصل لنهر النيجر و دخل السودانيين في صراع مع المغاربة و تكبد فيها السودانيين خسائر فادحة و سقط الأمير السوداني أسير في يد المغاربة و بهذا أرسل المولى أحمد كميات كبيرة من التبر و الثروات و العبيد الى المغرب و جمع الضرائب و الغرامات و دخلت السودان تحت سلطة المغرب الى أن قتل المولى أحمد على يد أحد الجنود السودانيين .6

3: التنافس الاستعماري حول بلدان الساحل الافريقي:

جاء هذا التكالب الاستعماري نتيجة خوف سياسي و اقتصادي ساد الدول الأوربية و أثر في نواياها نحو افريقيا بحيث كانت كل دولة أوربية تخاف أن تحتل دولة أوربية أخرى مساحة أكبر في افريقيا و من ثم ينقلب ميزان القوى في أوربا ، أو تحتل دولة أوربية أسواقا أكبر أو تمتلك بعض المصالح الاقتصادية و تجعلها مقتصرة على تجارتها فقط ، كل هذا أدى لتدافع الأوروبيين نحو افريقيا إضافة الى أنه كانت تسود أجزاء مختلفة من أوربا حالات من القلق مما أدى بالتجار و أصحاب رؤوس الأموال الى الضغط على حكوماتهم لارسال بعثات عسكرية لاحتلال المناطق التي يهتمون بها ضمانا للاستعمار ، إضافة الى نشر المذهب المسيحي و استخلاص المواد الخام فوجدوا أفضل وسيلة هي فتح أعماق افريقيا حتى يتمكنوا من استغلالها بمد الخطوط الحديدية الى داخل البلاد مع احتلال كل شبر منها ، و بهذا صوروا الشخص الافريقي بالبليد الذي لا يستطيع أن يبتكر شيئا و أنه كطفل يحتاج الى والد قوي الشكيمة ليقوده لطريق الخير و الحضارة 7 .

أ: البرتغاليون :

كانت منطقة غرب افريقيا هي أول المناطق التي وصل اليها البرتغاليون ، و كانت جزيرة أرجوين هي جزيرة صغيرة قرب الساحل ، كان هذا الحصن هو نقطة التمركز التي ساعدت البرتغاليون على البدء في التعامل مع منطقة السودان الغربي و حتى تمبكتو التي أرادوا الوصول اليها فازدهرت التجارة ، و قاموا بتأسيس غينيا البرتغالية كما تم احضار برتغاليين لتوطين هذه المنطقة ومعهم الجنويز و أعطوهم مزارع يستخدم فيها الأفارقة للعمل و أنشأت مراكز و حصون برتغالية على طول سواحل افريقيا ، كما حاولوا اتخاذ مراكز لنشر المسيحية من الساحل صوب الداخل وباسم هداية الأرواح الضالة ، و بهذا انتشرت اللغة البرتغالية و الديانة المسيحية و اتخذ البرتغاليين في بداية تعاملهم مع الأهالي ما يمكن تسميته "بالسياسة الافريقية" بحيث كانت البرتغال تحصل على كميات من الذهب من الساحل الافريقي و خاصة منطقة غانا ، كما تحصلوا على ما قيمته مائة ألف جنيه من هذا المعدن في العام 8.

وزاد استغلال البرتغاليين لعملية التجارة في الموارد الافريقية و في العبيد ، كما دخلوا في علاقات تجارية مع الرؤساء الأفارقة حيث استخدموا في هذه العملية الرهبان فقدموا للأهالي الانجيل مع الهدايا و بعض الخرز و المصنوعات الملونة و أخذوا من الأهالي أغلى المنتوجات و هو الرجل الافريقي لاستخدامه كعبد كما وافق أحد الملوك على بناء كنيسة في عاصمته و عين ابنه أسقفا عليها لكن العلاقات ساءت مع البرتغاليين عام 1539م لأنهم رفضوا له أمر ارسال ابنه للبابا و رفضوا أن تكون له علاقات مع البابا و غيره .

فزادت أهمية افريقيا بالنسبة للبرتغال عند نهاية القرن 16م فبدأوا بنشر المسيحية فيها و استخدموا الحكم غير المباشر و بدأوا بحملات صيد العبيد ، كما قسموا الأماكن التي استولوا عليها الى مناطق بين القيادات الافريقية الموالين لهم لكي يقوموا بادارتها والدفاع عنها و احتكار حق التجارة فيها و ذلك نظير تقديم كميات محددة من المنتجات الافريقية و عدد ثابت و متزايد من العبيد ، و حاولوا التوطين معتمدين في ذلك على أسر من الفلاحين و أنشأوا الحصون و الكنائس لكنهم فشلوا و استمر نشاطهم على مناطق الساحل الافريقي فقط دون التوغل للداخل 9.

-بعد حركة الكشوفات الجغرافية و تمكن الاسبان من دخول العالم الجديد و نهبهم لخيراته و ثرواته كان صعبا عليهم الخروج و ترك تلك الأماكن الثرية و لأنهم قليلو العدد ، إضافة الى الجو الغير مناسب المتميز بحرارة

الشمس توصلوا الى ضرورة الحصول على الأيدي العاملة من القارة الافريقية لأجل تعمير العالم الجديد و استخدامهم للعمل في المزارع ، و بدأوا في تجارة الرق ، و فعل البرتغاليون نفس الشيء خاصة و أنهم أقاموا حصون و مراكز بالساحل الافريقي ساعدهم ذلك على اصطياد عدد كبير من العبيد و شحنهم و نقلهم للعالم الجديد وبهذا زاد التنافس بين الدول الأوربية حول تجارة الرقيق .

ب: الشركات الهولندية :

قام الهولنديون بتأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1602م و نافسوا الأوربيين في العالم الجديد و في الهند ، و شاركوا برؤوس أموالهم في افريقيا وأسسوا عدة حصون في ساحل الذهب ، وبرز نشاط الهولنديين في تجارة الرق و نقلهم من غرب افريقيا الى أمريكا ، كما تأسست شركة الهند الغربية الهولندية و منح لها حق السلطة و التصرف في غرب افريقيا ، و بهذا دخلت هولندا حقل المنافسة مع اسبانيا و البرتغال على افريقيا 10 ،و هذا أدى لقطع العلاقات بين الأفارقة ، إضافة الى قيام الهولنديين بالاستيلاء على الحصون البرتغالية في ساحل الذهب و أصبح لهم صدى في غرب القارة الافريقية 11.

ج: الشركات الإنجليزية :

بعد منافسة هولندا في الهند و انشاء شركة الهند الإنجليزية و شركة الهند الغربية اتجهت صوب افريقيا خاصة و أن المراكز التي كانت تنشأ على سواحل هذه القارة كانت تورد العبيد الذين يمكن بواسطتهم تحطيم عملية الحصار الاسباني على أمريكا خاصة و أن اسبانيا لم تكن لها الأدوات و السلع اللازمة لشراء العبيد و لم تكن لها السفن اللازمة لنقلهم ، فكان لزاما على إنجلترا أن تثبت أقدامها في افريقيا حتى تتمكن من الدخول لأمريكا فأقامت" شركة غرب افريقية " للعمل على طول الساحل الغربي لهذه القارة و اتخذت من غامبيا و سيراليون و ساحل الذهب و ساحل العبيد نقطا لجمع و شحن الزنوج الى العالم الجديد و بذلك سيطرت على نصف هذه التجارة ، حيث كانت السفن الإنجليزية تحمل البضائع و المنتوجات و الأدوات الحديدية لتصل الى الساحل الافريقي حيث تبدل سلعها و يعاد شحنها بالعبيد و ذلك لتصل الى أحد النقط في أمريكا و تقوم ببيع العبيد و تشتري السكر و القطن ، و بذلك اصبح العبيد يمثلون القوة العاملة في الزراعة و بخاصة في المستعمرات الإنجليزية في العالم الجديد و حتى في المستعمرات الإنجليزية الثلاثة عشر 12.

هذه التجارة زادت من عداء الدول الأوربية لبعضها البعض و في نفس الوقت أدت لصراع حول مناطق النفوذ في أمريكا كما أرهقت القارة الافريقية من خلال اصطياد العبيد .

د: الشركات الفرنسية :

بدأ النشاط الفرنسي بانشاء محطات تجارية و من أهم ما كانت تتاجر به هذه المحطات هو تجارة الرقيق و ذلك تبعا لما فعله الهولنديون و الانجليز و البرتغاليون و كانت أول محطة لها هي "السنغال" 13 ، و أنشأت شركات منها "شركة السنغال و شركة الشرق" ، و أقامت علاقات في شمال افريقيا بحيث أقامت قواعد سهلت عليها عمليات الأمن في البحر المتوسط و استوردت القمح و بعض المنتجات ، أما في افريقيا السوداء فقد أسست شركات متعددة ومنها "شركة سينجامبيا ، شركة السنغال ، شركة غينيا و شركة الغرب " و أصبحت المراكز الواقعة على ساحل الذهب و غينيا محطات هامة للتجارة في العبيد و بذلك أنشأت لنفسها مستعمرات ووجدت مكانة لها أمام الدول المنافسة 14 .

لم تكتف افريقيا بالخطر الأجنبي بل أصبح هناك خطر داخلها فقد ظهرت مجموعة من القناصة الأفارقة يتبعون الأوربيين و يقومون باصطياد العناصر الافريقية و يحضرونهم الى الأوربيين على الساحل فظهر ما يعرف ب"الجلابه" أو جلابي العبيد الى مراكز الأوربيين على الساحل مقابل تزويدهم بأسلحة نارية لاصطياد الشباب و البنات هذا أدى لعداء بين الأفارقة و جعل القارة تنكمش و تنغلق على نفسها بحيث كانت طوابير الرقيق تشتمل على الرجال و الشباب و الأولاد و النساء و البنات ، حيث وصل عدد الأفارقة الذين نقلوا من ساحل غانا وحده للعالم الجديد عن طريق البرتغال نهاية القرن 16م ما يقرب مليون نسمة ، و ملأت السفن بالذهب و النحاس لتنقل للبرتغال ، و فرضوا ضريبة خاصة على كل رأس من العبيد ، نفس الشيء فعله الهولنديون و الانجليز و الفرنسيون ، و حتى الدانماركيون بهذه السلعة المربحة "العبيد" 15 .

4: بعض الرحلات الاستكشافية الأوربية في الساحل الافريقي :

نشطت حركة الاستكشافات في القارة الافريقية خلال القرنين 18و19م و ارتبطت الاكتشافات باجتياح المواد الخام و ذلك نتيجة التطور الصناعي الذي تم فيها ، و هذا من أجل جعلها أسواقا لتصريف و توزيع المواد المصنعة ، ارتبطت هذه الاكتشافات و سارت غالبها مع المجاري المائية الهامة ، و أهمها نهر النيجر ونهر

السنغال و نهر الزمبيزي و لهذا مهدوا الطريق نحو فتحها أمام الرجل الأوربي وهدفه تمسيحها و نهبها و الاتجار في عبادها الذين أصبحوا يمثلون أغلى تجارة .

حيث أهم رحلة في الساحل الافريقي هي رحلة اكتشاف نهر النيجر و بدأت هذه العملية أول الأمر عن طريق الرحلات التي قام بها "مانجو بارك" في 1795 -1797 ثم أعوام 1805-1806 كان اسكتلندي الأصل ، بحيث يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار القارة الافريقية و هو يسير في السودان الغربي في شكل قوس كبير يتجه من مرحلته الأولى من الجنوب الغربي صوب الشمال الغربي و قرب منابع نهر النيجر ينبع نهر السنغال الذي يتجه صوب الغرب و يصب في المحيط الأطلسي وكذلك نهر جامبيا الذي يتجه صوب الغرب و يصب في المحيط الأطلسي ، قرر هذا الأخير القيام برحلات كشفية في المنطقة المحيطة بنهر جامبيا متجها صوب الغرب ثم واصل رحلته شرقا حتى وصل لنهر النيجر عند مدينة سيجو سار مع هذا النهر مدة طويلة ثم قفل الى الشاطئ و عاد الى إنجلترا حيث ثبت في هذه المرحلة من منابع كل من أنهار النيجر و السنغال و جامبيا و الاتجاهات الرئيسية لكل نهر من هذه الأنهار ، كما تعرف على أحوال الأهالي و مدنهم و طرق معيشتهم و مواردهم و امكانياتهم ، و في رحلته الثانية هدف منها تتبع نهر النيجر و القيام بعملية مسح له ووصل حتى مدينة سيجو بعدها انقطعت أخباره ، إضافة الى رحلة "كلابرتون" لكشف سر نهر النيجر حيث قام ب 3 رحلات مدعما من قبل وزارة المستعمرات البريطانية فزار التشاد و النيجر و ساحل غانا16

-هذه المجهودات التي بذلها الأوربيون في اكتشاف بلدان الساحل الافريقي ساعدتهم كثيرا على فهم القارة الافريقية وفهم خريطتها و التعرف على أحوال الأهالي و ذلك من أجل تمسيحهم و الاستيلاء على ممتلكاتهم و استغلالهم في خدمة أسيادهم ، وذلك لأن القارة الافريقية تمتلك كافة الإمكانيات و الطاقات البشرية و الاقتصادية و هذا ما يحتاجه الأوربيون فحاولوا تفريغها من عناصرها البشرية لتعمير مناطق أخرى في العالم و المتاجرة في خيراتها 17 .

هذه الاكتشافات مهدت لاحتلال القارة الافريقية و انشاء مستعمرات بها لأجل توطيد الحكم الأوربي في المنطقة ونشر الدين المسيحي بها عن طريق البعثات التبشيرية .

5: المستعمرات الأوربية في الجزائر و بلدان الساحل الافريقي :

لجأت الدول الأوربية الى انشاء مستعمرات في افريقيا كان غرضها تثبيت مكانتها في المنطقة ووضع حدود لكل دولة تستولي عليها .

الجزائر : شهدت الجزائر أقوى ضربة للاستعمار الأوربي في القارة الافريقية حيث احتلتها فرنسا منذ عام 1830 م [18] ، و أجبرت الداي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام التي أعدتها بنفسها و تخدم مصالحها [19] ، استندت في حركة غزوها الى أهميتها الاقتصادية و أهمية منتجاتها الزراعية خاصة الحبوب و التي كانت لازمة لفرنسا لتموين قواتها في عصر الثورة الفرنسية و عصر الإمبراطورية النابليونية حيث استوردت الكثير من قمح الجزائر و لم تهتم بدفع أثمانها ، كانت تهدف أيضا الى حرمان إنجلترا من الحصول على هذه الحبوب خاصة و أنها كانت المنافس الرئيسي لها و بسبب تراكم الديون نشأ الخلاف بينهما و أكدت فرنسا أمام أوربا خطر القرصنة الجزائرية على أوربا وذلك لأجل احتلالها ، فأرسلت سفن حملتها لاحتلالها ووجهتها صوب مدينة الجزائر ثم عمدت لاحتلال بقية المدن الساحلية ، و بدأت في نزع ملكية الأراضي و بيعها للفرنسيين تحت ذريعة عدم وجود عقود اثبات الملكية ، كما واجهت مقاومات عديدة منها مقاومة الأمير عبد القادر وذلك بسبب عجز الدولة العثمانية عن الدفاع بسبب ضعفها كما واجهت فرنسا مقاومة أحمد باي في قسنطينة و مقاومات أخرى في باقي ربوع الوطن ، اعتمدت الحكم المباشر و غير المباشر ، كما شجعت الهجرة الأوربية للجزائر و استغلت امكانياتها و مواردها و فرضت التجنيد الاجباري على أبنائها حتى تستغلهم في الحرب العالمية الأولى ، هذا الاستعمار كان غرضه التوسع في القارة الافريقية صوب الجنوب و الصحراء و باقي الأماكن ، حتى أنها كانت ترسل جيوشها من الجزائر لمستعمراتها الأخرى وجعلها كقاعدة لها [20]

السنغال : هي أيضا مستعمرة فرنسية ، كما مدت فرنسا نفوذها في غرب القارة الافريقية على مساحات واسعة فشكلت ما يعرف ب "افريقيا الغربية الفرنسية" [21]و هي تشمل "السنغال ، موريتانيا ، غينيا ، السودان الغربي الفرنسي ، ساحل العاج ، فولتا العليا ، النيجر " وبذلك واجه الفرنسيون عادات و حضارات هذه الأماكن[22].

المستعمرة الإنجليزية في سانجامبيا : استولت إنجلترا على مراكز فرنسا في أعالي غانا ، ضمت بعض الأراضي المجاورة و كونت "مستعمرة التاج" في سانجامبيا ومن خلالها تمكنت من إدارة المنطقة الافريقية ، هذه المستعمرة ساعدتها في تأسيس حصون ساحلية و شركات بحيث عملت على نشر المسيحية و بناء الكنائس .23

مستعمرة سيراليون : بعد اعلان انهاء تجارة الرقيق و تحرير عدد كبير من العبيد الذين كانوا قد أحضروا لانجلترا و حرروا أصبحوا يشكلون مشكلة لبريطانيا خلال القرن 18م فقامت باختيار سيراليون كمكان لاستقبال و استيطان هؤلاء العبيد ، فأنزلتهم هم و مؤنهم و ذويهم في هذا المكان 24.

و أرادت اتخاذها كقاعدة للتجارة الحرة مع المنطقة الداخلية من افريقية لكن هذا لم يتحقق فظلت المستعمرة مركزا بريطانيا ضعيفا على الساحل بعدها تحولت لمؤسسة حكومية و أصبحت عام 1808م قاعدة للأسطول الذي يعمل في محاربة و مطاردة تجارة الرقيق و بذلك زادت أهمية مستعمرة سيراليون بعد اتخاذها كمركز لتوطين العبيد المحررين من بقية نقط الساحل 25.

مستعمرة ليبيريا :

ترجع أصولها الى جمعية الاستعمار الأمريكية التي تأسست في عام 1816م كان الهدف من تنظيمها هو حل المشاكل الاجتماعية الحرجة التي تضمنت وجود أعداد من الزنوج المحررين في المجتمعات التي تمتلك العبيد في المقاطعات الجنوبية من الو. م .أ بحيث أختص هذا المشروع في العمل على الهجرة الى افريقيا 26.

حولها الأمريكيين الذين أسسوها من مستعمرة الى جمهورية عام 1847م بحيث كان هؤلاء الزنوج العائدين يقومون بالبحث عن قوتهم دون الحصول على أية معونة أجنبية و حتى الو. م .أ التي ساهم أبناؤها في انشاء هذه الجمهورية 27.

مستعمرة ساحل الذهب و لاجوس :

بحيث ركزت إنجلترا على تواجدها في المناطق الأكثر أهمية و كانت تجارتها تتركز في منطقة دلتا نهر النيجر دون أن تكون لها مواقع أقدام في الدلتا خلال القرن 19م و بعد مقتل أحد حكام سيراليون في 1824م بدأت علاقات إنجلترا بدلتا النيجر تأخذ نقطة تحول و عينت جورج ماكلين في 1830م حاكما عاما على

ساحل الذهب فنشطت التجارة و عمل على مسالمة سكان سواحل غرب افريقيا و هذا دعم الوجود البريطاني على ساحل الذهب و بذلك تقلصت مواقع الدانمركيين و الهولنديين و أعلنت ساحل الذهب مستعمرة بريطانية في 1874م ، كما حاولت ارسال بعثات التبشير صوب الداخل و عمدت لارسال قناصلها الى الموانيء الواقعة على خليج غينيا و زودتهم بتعليمات لمراقبة تجارة الرقيق بعدها أصبحت لاجوس مستعمرة بريطانية عام 1851م28.

كما دخلت بلجيكا لاستغلال أماكن أخرى في القارة الافريقية و استغلال ثرواتها أدى ذلك لانتشار الأمراض و معاناة السكان من الجوع .29

5: البعثات التبشيرية في الجزائر و بلدان الساحل الافريقي :

منذ دخول فرنسا للجزائر أرادت تمسيح المجتمع تحت ذريعة حماية المسيحية من المسلمين و كان من بين الأساليب التي اعتمدها هي "جمعية الآباء البيض" التي أسسها الكاردينال لافيجري و تعتبر أخطر العمليات .

كما أرسلت البعثات التبشيرية المسيحية لغرب افريقيا التي تدين بالمذهب الكاثوليكي و كان الكهنة الفرنسيون الموجودين في المراكز الفرنسية في السنغال يؤدون الخدمات الدينية للفرنسيين الكاثوليك ، كذلك كان الهولنديون البروتستانت يرسلون القساوسة لتأدية الخدمات الدينية ، و أرسلت أيضا ارساليات تبشيرية من أمريكا و ألمانيا البروتستانتية الى ليبيريا عام 1821م ، بينما أرسلت البعثات البريطانية الى سيراليون و ساحل الذهب و نيجيريا 30.

و أرسلت الارساليات التبشيرية خلال القرن 19م مدارس خاصة بها بهدف التبشير و تخريج جيل من المعلمين يكفل العملية التعليمية التبشيرية و مع نهاية القرن بدأت الحكومات الاستعمارية تقدم المعونات المالية لهذه المدارس و ذلك حتى تبقى في خدمتها و تحت رعايتها .31

6: المستعمرات الأوربية في افريقيا عند نشوب الحرب العالمية الأولى:

عند نشوب الحرب العالمية الأولى كانت الجزائر مازالت تحت الحكم الفرنسي بحوالي 80عاما ففي هذه الفترة ازداد استغلالها لها خاصة عندما فرضت قانون التجنيد الاجباري على أبنائها لمساعدتها في الحرب .

افريقيا السوداء سواء افريقيا الغربية أو الاستوائية فكانت أيضا تحت حكم فرنسا مع ازدياد استغلال امكانياتها في الحرب ، أما إنجلترا فكانت تسيطر على جامبيا و سيراليون ، ساحل الذهب و نيجيريا و افريقيا الشرقية ، هولندا سيطرت على غينيا 32

7: آثار الاحتلال على الجزائر و بلدان الساحل الافريقي :

1: التجزئة :

حيث يشهد الكثير من الأوربيين على أن الدول الاستعمارية قامت بتمزيق القارة الافريقية كتأمين لها في المستقبل و هذا سببه الصراع بين القوى الاستعمارية حيث بريطانيا لوحدها جزأت ما استولت عليه من أرض افريقيا الى 14 جزء و كذلك فعلت فرنسا ، هذا نتج عنه تعدد الثقافات و تعدد الأحزاب و تعدد السياسات الاقتصادية كلها كانت عقبات في طريق الوحدة و التواصل الحضاري 33.

2: الاقتصاد الاستعماري :

نشأ نظام اقتصادي استعماري في كل إقليم من الأقاليم المحتلة و جرى تنظيم القطاع على أساس انتاج قليل من المواد الخام و استخدام عدد قليل جدا من العمال المهرة و العمل في أكثر الأحيان على هجرة عدد كبير من اليد العاملة ، فنشأت مجتمعات تضم عدد قليل من العمال الفنيين و كثرة غالبة من العمال غير المهرة هذا نتج عنه قطع العلاقات بين شعوب المناطق و انقطاع أو غلق الطرق التجارية ، و خلال القرن 19م عندما قسمت القوى الأوربية افريقيا فيما بينها وسعت لاقامة نوع من السيطرة على الأراضي التي استولت عليها فدخل غرب افريقيا حالة من الركود ذلك أن منتوجاتهم لم تكن تمثل حاجة ملحة لأوروبا و قيام الحربين العالميتين زاد من حالة الكساد الاقتصادي ، وزاد من نهب هذه الدول الضعيفة التي دخلت مجال الحرب دون أن تكون طرفا فيها 34.

3: الجهاز الحكومي :

أدى الاستعمار الى إحلال نظام العقوبات محل الشريعة الإسلامية و الأعراف التقليدية مما أدى لتقسيم القبائل فأصبح كل جزء من القبيلة خاضع لأسلوب في الحكم و اللغة يختلف عن الجزء الآخر ، بحيث كانت

القوانين و التشريعات تصدر من هيئة الاحتلال بحيث أبعد الأفارقة عن الحكم و لما أرادت بريطانيا اشراك الافريقيين في الحكم جاءت بزعماء موالين لها .

4: التجارة :

كانت التجارة قبل دخول المغتصب حرة نشطة بين الجزائر و بلدان الساحل الافريقي ، بحيث استخدم الأفارقة الطرق الصحراوية في غرب القارة لمبادلة الذهب بملح الطعام و الطريق البحري في المحيط و البحر الأحمر لمبادلة الذهب و الحديد و منتجات الغابة و الأسلحة و المنسوجات من الجزيرة العربية ، و هذا ناهيك عن المبادلات التجارية الداخلية فيما بينهم بحيث كانت الطرق و المسالك الداخلية معروفة لدى التجار و العلماء و غيرهم ، و لكن بدخول المستعمر زال أثر التجارة الداخلية و تركز النشاط على التجارة الخارجية و نقل ثروات القارة و كلها من المعادن الخام و السلع الزراعية النقدية من الداخل الى الساحل و منها الى أوروبا بالطريق البحري ، لذلك بنى المستعمرون السكك الحديدية و عبدوا الطرق التي تربط مناطق الإنتاج بموانيء التصدير 35.

5: التعليم :

كان من بين نتائج الاستعمار الأوروبي على الجزائر و بلدان الساحل الافريقي ارتفاع نسبة الأمية و تخريب معاهد التعليم و العلماء و بذلك قطعت الروابط بينهم ، بحيث قامت المدارس التبشيرية ببناء مدارس خاصة لها بهدف التبشير و تخريج جيل من المعلمين يكفل العملية التعليمية التبشيرية ، إضافة الى نشر المذهب المسيحي كذلك خلق فئة إدارية تتولى مسؤولية الوظائف المتزايدة و خلق جسر ثقافي يصل ما بين الأجانب و جماهير الافريقيين ، أما المناهج التعليمية المستعملة في التعليم فهي مناهج استعمارية 36.

وبذلك خلق المحتل جيشا كبيرا من الأميين في وسط هذه الأماكن و غلق المدارس التي فتحها الأفارقة .

6: النقل و المواصلات :

قام المحتل ببناء طرق عديدة امتدت آلاف الكيلومترات بحيث لم تكن في مصلحة الرجل الافريقي بل بنيت لاستيطان الرجل الأبيض من أجل نهب و مصادرة الثروة المعدنية و النباتية للجزائر و بلدان الساحل الافريقي و عند خروج المحتل من هذه الأماكن بقيت تلك الخطوط عاجزة عن تحقيق أهداف الشعوب في تبادل

ثقافاتهم و علومهم و سلعهم التجارية ، كذلك بالنسبة لطرق السيارات فمعظمها بني ليربط مناطق المهاجرين البيض بالساحل لنقل المحاصيل الزراعية و الثروات المعدنية التي تمتلكها الشركات الأجنبية من الداخل الى الموانيء .

7: الصحة :

أدى سوء التغذية الى انتشار الأمراض بين المواطنين الأفارقة و هذا أدى لارتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال ، بحيث أثر الغذاء على الأطفال و أمهاتهم ، إضافة الى غياب المستشفيات ففي نيجيريا المحتلة من طرف بريطانيا لم يشيد سوى مستشفى واحد في بلد يصاب فيه من 60 بالمائة الى 80 بالمائة من السكان بالملاريا و قلة الأطباء و ارتفاع نسبة مرضى السل 37 .

و في الوسط الاجتماعي كانت التغيرات الناتجة عن الاستعمار الأوربي محسوسة بدرجة أكبر بحيث انهارت "الأرستقراطيات " المحلية ، و تفككت الجماعات و القبائل التي خرج أعضاؤها بسهولة على سلطة المجموعة 38 .

إضافة الى ظهور مجموعة من "المولدين " الذين نتجوا عن اختلاط الأوربيين بالعناصر الافريقية و المعروفين "بالملونين" 39 .

كما قام المستعمر بتخريب المكتبات و العلوم التي كانت موجودة في هذه البلدان وذلك من أجل جعل هذه الشعوب بدون ثقافة و لا هوية و المستعمر هو الوطن الأم و بذلك قطعت روابط التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الافريقي .

خاتمة :

و في الأخير يمكن القول بأن علاقات التواصل الحضاري التي ربطت الجزائر ببلدان الساحل الافريقي لمدة سنوات توجت برواج ثقافي و تجاري و علمي ، و ظهرت عدة رحلات فسادت روح الأخوة كما نشطت الطرق التجارية المؤمنة بين هذه الشعوب كم ظهرت ممالك اهتم شعوبها بالأدب و العلوم و التدوين ، هذا أدى لظهور ما يعرف "بالثورة الحضارية" ، الا أن هذا لم يدم طويلا لأن الاستعمار الأوروبي قطع أواصل التاريخ الافريقي فبدأت التحرشات الاسبانية على السواحل الافريقية ومنها الجزائر و ذلك من أجل إيجاد مراكز لتوطين الوجود الاسباني فيها ، و منذ ذلك الوقت بدأ التكالب الاستعماري على هذه البلدان من برتغاليين و فرنسيين و انجليز و هولنديين معتمدين في حملاتهم على الارساليات التبشيرية بغرض هداية الشعوب الضالة .

كما أنشأوا شركات تجارية و حصون على سواحل البلدان التي احتلوها و أخذوا في السلب و النهب و حتى المتاجرة في العبيد فأرهق بذلك الانسان و أرهقت الأرض و دخلت الشعوب في اختلافات عنصرية و لغوية و ظهرت مشكلة القومية ، كما وفر المستعمرون الوسائل اللازمة من أجل الاستغلال أكثر هذا مكنهم من انشاء مستعمرات مخلفة بذلك آثار اقتصادية و اجتماعية و ثقافية ، دينية و سياسية كما عمل الاستعمار على تغذية الصراعات العرقية و التفرقة الاجتماعية مدعين بذلك نشر الحضارة و تطوير الفرد الافريقي الضال الذي يحتاج لوالد يرشده و ينير له دربه ، و على هذا يشهد الكثير من الكتاب الأجانب بأن الدول الاستعمارية مزقت الشعوب الافريقية و جزأتها كتأمين لها في المستقبل و هذا راجع للصراع بين القوى الاستعمارية و التنافس حول مناطق النفوذ في العالم و بهذا راحت الجزائر و بلدان الساحل الافريقي ضحية لهذا التنافس .

قائمة المصادر و المراجع :

1: جمال عبد الهادي محمد سعيد ، د. وفاء محمد رفعت جمعة : أخطاء يجب أن تصحح في افريقيا ، افريقيا يراد لها أن تموت جوعا ، دار الوفاء للطباعة و النشر ،د. م ، ص ص 26-29 .

2: فيج .جي .دي : تاريخ غرب افريقيا ، ترجمة : يوسف نصر ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1955 ، ص 36 .

3: جلال يحيى : تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية ، 1999 ، ص ص50 -51 .

4: جمال عبد الهادي محمد مسعود ، وفاء محمد رفعت جمعة ، المرجع السابق ، ص ص23 – 24 .

5: جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص ص115 – 121 .

6: المرجع نفسه ، ص ص121 -128 .

7: أحمد طاهر : افريقيا فصول من الماضي و الحاضر ، المكتبة الافريقية 2 ،دار المعارف ، القاهرة ، 1975 ، ص ص173 – 174 .

8: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص ص138 – 139 .

9: جلال يحي ، المرجع نفسه ، ص ص140 – 142 .

10: س . هوارد : أشهر الرحلات في غرب افريقيا ، ترجمة : د. عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، ج 1 ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 ، ص ص15 – 16

11: فيج . جي . دي ، المصدر السابق ، ص137 .

12: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص ص166 – 167 .

13: شوقي عطاالله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : تاريخ المسلمين في افريقيا و مشكلاتهم ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1996 ،ص103 .

14: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص170 .

15: جلال يحي ، المرجع نفسه ،ص ص182-187 .

16: المرجع نفسه ، ص ص219 – 227 .

17: عبد القادر مصطفى المعيشي ، عبد العباس فضيح العزيري ، سعدية الصالحي : جغرافية القارة الافريقية و جزرها ، ط 1 ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، مصراته ، 2000 ، ص5 .

18: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص250 .

19: جمال عبد الهادي محمد مسعود ، وفاء محمد رفعت جمعة ، المرجع السابق ، ص 73 .

20: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص ص250-253 .

21: شوقي عطاالله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع السابق ، ص103 .

22: س .هوارد ، المصدر السابق ، ص20 .

23: فيج . جي .دي ، المصدر السابق ، ص157 .

24: المصدر نفسه ، ص 237 .

25: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص ص263 -264 .

26: فيج . جي .دي ، المصدر السابق ، ص241 .

27: جلال يحي ، المرجع السابق ، ص264 .

28: المرجع نفسه ، ص ص265-267 .

29: جمال عبد الهادي محمد مسعود ، وفاء محمد رفعت جمعة ، المرجع السابق ، ص ص79 -80 .

30: فيج . جي .دي ، المصدر السابق ، ص ص253 -271 .

31: ب. س. لويد ، افريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، ترجمة : شوقي جلال ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1980 ، ص77 .

32: جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص ص492 -494 .

33: جمال عبد الهادي محمد مسعود ، وفاء محمد رفعت جمعة ، المرجع السابق ، ص ص84-85 .

34: ب. س . لويد ، المصدر السابق ، 66 .

35: جمال عبد الهادي محمد مسعود ، وفاء محمد رفعت جمعة ، المرجع السابق ، ص ص85 -91 .

36: ب . س . لويد ، المصدر السابق ، 77 -78 .

37: جمال عبد الهادي محمد مسعود ، وفاء محمد رفعت جمعة ، المرجع السابق ، ص ص89 -93 .

38: جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص498 .

39: محمد عبد الغني سعودي : قضايا افريقيا ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، عالم المعرفة ، الكويت ،1980 ، ص5 .